تفسير أواخر سورة البقرة

محاضرة في مكة المكرمة

لفضيلة الشيخ أ. د. يوسف بن عبد العزيز الشبل

بسم الله والحمد لله

وأصلي وأسلم على أشرف الانبياء والمرسلين وعلى اله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا علما وعملا يارب العالمين

أيها الاخوة الكرام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

في هذه الأمسية المباركة، وفي هذه الليلة الشريفه نجتمع في هذا المقام المبارك في مسجد من مساجد الله سبحانه وتعالى، نجتمع حول تفسير ايتين من كتاب الله سبحانه وتعالى، نق مع هاتين الايتين قي منورين ونحاول ان لا نُطيل ونختصر الكلام، وخير الكلام ما قل ودل ....

هاتان الآيتان سماهم النبي صل الله عليه وسلم في أحاديث(خواتيم سورة البقرة)

والكل يعرف خواتيم سورة البقرة، يكون

حديثنا حول محورين مهمين:

المحور الأول: فضائل هذه الخواتيم

المحور الثاني: معاني هذه الخواتيم

لينبغي لنا أن نفهم ما نقرأ ونعرف دلالات ما نقرأ، مما يتعلق بفضائل هاتين الايتين وردت احاديث،

وقبل أن أدخل على ماورد في هاتين الايتين من احاديث في فضلها، نعرج على ما ورد في كتاب الله من فضائل سبحانه وتعالى،

وقد وردت أحاديث كثيرة عن النبي صل الله عليه وسلم في فضل قراءة القرآن وتدبره وتأمله، بل إن العلماء رحمهم الله ألفها المؤلفات في فضائل القرآن الكريم، ولا نبيل في ذكر الأحاديث المتعلقة بفضل القرآن الكريم، ولكن نشير إلى شيء منها ...

من هذه الفضائل ما جاء عن النبي صل الله عليه وسلم انه قال:(إقرأ القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفعبا لاصحابه) فقراءة القرآن سبب لشفاعة الإنسان يوم القيامة عندما يحتاج إلى من يشفع له يأتي القرآن فيشفع له، ولاحظ أن النبي صل الله عليه وسلم في الحديث قال: أقرأ القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه لم يقل شفيعا

لمن يقرؤه وإنما قال شفيعا لأصحابه، يعني الصاحب هو الملازم يعني ينبغي لك أن تلازم القرآن ليلك ونهارك ان تقضي عمرك كله مع القرآن حتى تكون مصاحبا للقرآن الكريم، ومن الأحاديث الواردة للقرآن الكريم أنه يقال لصاحب القرآن يوم القيامة الذي يقرأ القرآن ويكون شغله الشاغل، حياته كلها مع القرآن أقرأ وارتقي فإن منزلتك عند آخر آية تقرئها، فصاحة القرآن إذا جاء يوم القيامة وجيء بصاحب القرآن قيل له أقرأ وارتقي فإن منزلتك عند أخر آية، كم آية في القرآن؟ أكثر من ستة الالاف آية يعني أكثر من ستة الالاف منزلة تصعد إليها يوم القيامة، فالقرآن كله خير، والقران عظيم، ويجب علينا أن تعتني بالقرآن ونهتم به،

بعد ذلك ادخل إلى فضائل سورة البقرة لان هذه الخواتيم واردة في سورة البقرة

ما فضل سورة البقرة؟

هل ورد أحاديث في فضلها؟

نقول: نعم وردت احاديث في فضل سورة البقرة

قال صل الله عليه وسلم☹ اقراؤا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة اي: السحرة) فهي تحفظك من السحرة وهي بركة وتركها حسرة وندامة

ومما ورد أيضا في سورة البقرة قال صل الله عليه وسلم: (البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يقربه شيطان) من أسباب حفظ البيوت من الشياطين ملازمة قراءة سورة البقرة في البيت

اما حديثنا عن خواتيم سورة البقرة وهي قول الله سبحانه وتعالى: (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ)

وردت فيها أحاديث كثيره في فضلها ..

من هذه الأحاديث أن النبي صل الله عليه وسلم قال☹ خواتيم سورة البقرة أُوتوتيتها من كنز تحت العرش) ولاحظ أن النبي صل الله عليه وسلم سماها خواتيم وهذه تسمية واردة عن النبي،

الأمر الآخر أن النبي صل الله عليه وسلم قال: أوتوتيتها من كنز وفي رواية أخرى من بيت كنز تحت العرش، وفي رواية أيضا قال: من بيت كنز تحت العرش لم يؤتها أحدٌ من الأنبياء قبلي

اي انها من اختصاص هذه الأمة وفضل من الله لهذه الأمة

من الأحاديث الواردة أيضا في فضل خواتيم سورة البقرة أن النبي صل الله عليه وسلم كان قاعدا وعنده جبريل فسمع نقيضا اي: صوتا فقال لجبريل ما هذا؟ قال: هذا ملك نزل من السماء لم ينزل قبل ذلك، ومزل بآيات لم ينزل بها أحدا قبله، فلما نزل هذا الملك

قال: للنبي صل الله عليه وسلم ابشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما أحدا قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لاحظ في هذا الحديث ..

أولا: ان النبي صل الله عليه وسلم كان عنده جبريل، وهذا الملك لأول مرة ينزل لم ينزل من قبل ولا أحدا لم ينزل بعد لأحد وهذه من خصائص هذه الآيات،

ثم تسمية هذه الخواتيم بالنور (النورين).

ثم قال: لم يؤتهما احد قبلك، فهذا فضل لهذه الخواتيم، فضل أيضا لهذه الأمة

- قد يسألك سائل ويقول لك من اللذي ينزل بالقرآن للنبي صل الله عليه وسلم؟

فنقول: الذي ينزل بالقرآن جبريل عليه السلام

هذا الملك غير جيريل هل ينزل بالقران؟

نقول: لا ينزل بالقرآن وإنما نزل ببشارة هاتين الايتين، لأنه قال: أبشر بنورين، ولذلك لا يقال ان هذا الملك نزل ابتدا بساتين الايتين، إنما الذي نزل بالقرآن هو جبريل عليه السلام، وهذا يدل على أن الايتين سبق انزلها قبل ذلك لان النبي صل الله عليه وسلم عندما قيل له خواتيم سورة البقرة عرفها صل الله عليه وسلم

من فوائد هاتين الايتين جاء عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه أن النبي صل الله عليه وسلم قال☹ من قراءة في ليلة خواتيم سورة البقرة كفتاه) كفتاه عن أي ورد من الاوراد، وقيل كفتاه عن قيام

الليل، وقيل كفتاه من كل شر والأقرب والله أعلم انها تكفيه من كل شر

الحديث هذا حديث عظيم، ولاحظ أن النبي صل الله عليه وسلم قال من قرئها في ليلة، اي تقرأ بعد غروب الشمس وليش قبل غروبها، تقرأ في الليل وليش في العصر، وأن قرأتها مع اوراد المساء في العصر لاحرج، وأن قرائتها مع اوراد الصياح لا حرج، لكن اثرها أو مكانها بعد غروب الشمس إذا دخل الليل بعد غروب الشمس بعد صلاة المغرب كل هذا مجال لقراءة هاتين الايتين والانسان يحافظ على قراءة هاتين الايتين

ماحكم معاني هاتين الايتين وما فيهما من دلالات ولفتات؟

قال سبحانه وتعالى☹ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ) هذه بشارة وثناء من الله على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه إلى قيام الساعة، والمؤمنون الذين آمنوا بالله وامنوا بمحمد صل الله عليه وسلم واتبعوا شرعه كلهم داخلون في قول و المؤمنون

لما تلاحظ ما في هاتين الايتين من ثناء ومن بيان عن عقيدة المسلمين وكيف يتلقون شرع الله، حين يقولون سمعنا واطعنا، وكيف يدعون ربهم في هاتين الخاتمتين العظيمتين، ارجع قليلا إلى هذه السورة وتأملها

تأمل أولا: سورة الفاتحة ختمة الله بأي شيء قال: (ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ (6) صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ

عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ

وَلَا ٱلضَّآلِّينَ)

غير المغضوب عليهم كما فسرها الرسول صل الله عليه وسلم قال : هم اليهود، والصالون هم النصارى، فحذر الله من طريق المغضوب عليهم اليهود و طريق الضالين النصارى، وفصل الله في بيان هؤلاء اليهود ومواقفهم من الله سبحانه وتعالى ومن رسله وفصل أحكامهم في سورة البقرة، بل كل ما يتعلق باليهود في سورة البقرة، ثم فصل ما يتعلق بالضالين النصارى في سورة آل عمران ...

ولذلك النبي صل الله عليه وسلم قارن بين السورتين قلل: اقرؤا القرآن ثم قال صل الله عليه وسلم اقرؤا البقرة وآل عمران، اقرؤا الزهراوين، فإنهم تأتيان يوم القيامة تحاجان عن صاحبهما، أو تأتيان كأنها غمامتان، وهذه السورتين تتحدثان عن طائفتين حذر الله من سلوك طريقهما اليهود والنصارى

سورة البقرة فصلت كل ما يتعلق باليهود وفضائحهم ومكائدهم و مواقفهم السيئة من الله سبحانه وتعالى أو من شرعه أو من رسله أو من المؤمنين من اتباع رسله، وبينت موافقهم في ربهم وشرائع الله وتحريفهن لأحكام الله وعدم قبولهم، وبعد ذلك تحدث الله عن اليهود وبين لنا أحكام هذه الشريعة، وبين تفاصيل هذه الشريعه شريعة محمد صلى الله عليه وسلم وبين أحكام الصلاة والصيام والزكاة والحج، وتفاصيل وكل ما يتعلق بالمسلمين المؤمنين في حياتهم، مما يتعلق بشرع الله تعالى، ختم هذه السورة بهاتين الايتين التي توضح عن موقف هؤلاء المؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين اصطافهم الله ورفع شأنهم ومقامهم، فأثنى الله عليهم بفضله،

(آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ)

وهذا الثاء،والإيمان والتصديق لكل ما جاء من الله ورسوله مع اتباعه اي: التصديق والاتباع أن تصدق وتعمل ...

(آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ)

وهنا فصل سبحانه وتعالى بقوله(كل) الايمان المجمل وهو الايمان العام فصل في هذا الايمان وقال(كل آمن) يعني من المؤمنين (بالله وملائكته وكتبه ورسله) بعد الاجمال هنا فصل سبحانه وتعالى أن يكون الايمان لله بصفاته واسمائه وأفعاله وكل ما يتعلق به سبحانه وتعالى وكل ما جاء من أخبار تتعلق بالله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم او في سنة نبيه صل الله عليه وسلم والتصديق بملائكته بوجودهم بأسمائهم وصفاتهم واعمالهم وكتبه المنزلة التي انزلها على رسله أن نؤمن بالتوارة ونؤمن بالانجيل ونؤمن بالزبور ونؤمن بالقران نؤمن بكل كتاب أنزله الله تعالى جاء التصريح بإسمه ام لم يأتي التصريح بإسمه، ولكن نعلم أن الله سبحانه وتعالى أنزل كتبا ..

ولذلك من صفات المؤمنين في أول سورة البقرة

قال☹ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2) ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ(3) وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ)

قال هنا: (لا نفرق بين احد من رسله)

يعني لا كاليهود وهذا تحذير من أن يسلك المؤمنين ما سلكه اليهود أن لا يكونوا كا اليهود فرقوا بين رسله فأمنوا ببعض وكفروا ببعض فالمؤمن لا يقول نؤمن ببعض ونكفر ببعض وإنما يقول: (لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا)

خلافا لليهود الذين قالوا (سمعنا وعصينا واسمع غير مُسمع)

وهنا المؤمنين يقولون سمعنا قولك ربنا واطعنا أمرك قال: (غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ) اي اغفر لنا يا رب العالمين اغفر لنا ..اي لما أخبر الله عن صفاتهم و عقيدتهم السلمية بالإيمان بالله والإيمان بالملائكة والإيمان بالرسل والكتب طلبوا من الله غفرانا .. لماذا؟ لما يصدر أو يبدر منهم من تقصير فهم يجاهدون أنفسهم بالإيمان بالله، ثم قد يقع منهم شيئا من التقصير ويطلبون من الله المغفرة وهو ردا على اليهود الذين يدعون أنهم أبناء الله واحبائه، وأنهم لم يدخلوا النار، وأن الجنة لهم هؤلاء المؤمنين بإيمانهم وتحقيقهم هذا الايمان إلا أنهم يطلبون من الله المغفرة وأن يغفر لهم

قلل: (غفرانك ربنا وإليك المصير)

اي مرجع كل الخلق إلى الله سبحانه وتعالى وهذا تذكير للإنسان بأن يحاسب نفسه في الدنيا ويسلك طريق النجاة فيها ويسلك سبل الصراط المستقيم حتى إذا عاد إلى ربه يكون على خير هذه هي الآية الأولى.

قال سبحانه وتعالى في الآية الثانية:

(لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا)

لما سألوا ودعوا الله في المغفرة وحققوا الايمان، خفف الله عنهم مع ان الطوائف التي قبلهم من اليهود والنصارى شدد الله عليهم وكلف عليهم، وهذه الأمة حظيت بالتخفيف والتسهيل، تسهيل من الله تعالى كما جاءت في العديد من الآيات

(يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)

(ما جعل عليكم في الدين من حرج)

(لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) وهذه الآية وأن كانت خبرا من الله عز وجل إلا انها تقتضي التخفيف عن هذه الأمة في أعمالها وكل ما يشق على الإنسان في عباداته، فإن الله فتح له باب التخفيف، والمشقة تجلب التسير ..

إذا وجد الإنسان مشقة فإنها لها تخفيف، ولن يغلب عسر يسرين ..لو دخل العسر جحر ضب لدخل اليسر واخرجه،

ولذلك نقرأ في القرآن(إن مع العسر يسرا) لم يقول بعد وإنما يمشي معه لا تظن إذا جاء العسر تبحث عن اليسر، اليسر موجود، ولذلك:

(لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ)

لها ما كسبت من الحسنات والانابة والأمور وعليها ما اكتسبت من الشيئات ولاحظ أن قال: لا .. اي أجور هذه الأعمال وكسبها له وعليه السيئات ولاحظ انه قال: كتسبت لما جاءت السيئات، قال اكتسبت لان السيئات تحتاج إلى كشف تحتاج إلى بحث، اما الخير فهو واضح وكثير والخير يأتيك، بعد ذلك يخبر الله سبحانه وتعالى حال هؤلاء الذين آمنوا وحقق الله عنهم ويسر لهم امورهم يدعون الله بهذه الدعوات الطيبة وهذه الدعوات هى خواتيم هذه السورة

وخواتيم كل ما ورد في السورة اول هذه الدعوات قول الله عز وجل

(رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ)

وفي حديث النبي صل الله عليه وسلم ان النبي قال☹ لما أخبر قال: ربنا لا تؤاخذنا أن نسينا أو أخطأنا ..قال الله فعلت ، يعني أن الله رفع عن هذه الأمة الخطأ والنسيان،

وكل من وقع في شيء من أوامر الله أو نواهيه وقع في خطأ أو نسيان فإنه مرفوع عنه الإثم لا حرج عليه

قال هنا (وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ) لما قال المؤمنون سمعنا واطعنا ، الله سبحانه وتعالى رفع عنهم وعن كل من أخطأ أو نسيانا...

لما حققوا السمع والطاعة ثم وقع منهم الزلل قال الله قد رفعت عنكم ، قد فعلت ..

ثم قال: من دعائهم

(رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ)

إشارة إلى االيهود الذين من قبلهم لان الله كلفهم الأحكام الشاقة، لكن هذه الأمة رفع عنها الاصر والأحكام الشاقة، والاصر هو الشيء الثقيل والمقصود به التكاليف الشاقة

(رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ)

من الأمم السابقة

ثم قال سبحانه وتعالى

(رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ)

ما لا طاقة لنا به اي من التكاليف الصعبة هذه للتأكيد ... ربنا ولا تحملنا اي لا تكلفنا امورا شاقة لا طاقة لنا بها الأولى إشارة إلى الأمم الماضية من اليهود والنصارى الذين حملوا شيئا من الاصار والاغلال التي رفعت في هذه الأمة،

والدعاء الذي بعده (رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ)

يراد بها ان لا يكلفوا بشيء فيه اصرا عليهم أو صعوبة عليهم بخلاف الزيادة التي كانت عند الأمم.

قال: (وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ) ثلاث أشياء لو تتأمل وتلاحظ أن كل وحدة من هذه الأشياء الثلاثة تعود لما قبلها ...

ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا .. تتناسب مع اعف عنا، لا تؤاخذنا اذن اعف عنا

واغفر لنا تتناسب مع قول الجلالة (ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا) اي اغفر لنا وارفع عنا شيء من الاصر حمل على من قبلنا..

قال: (وارحمنا) هذا راجع إلى قوله تعالى (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) اي ارحمنا ولا تكلفنا ما لا طاقة لنا به، فمن رحمته سبحانه وتعالى انه قال: قد فعلت، فرفع عنهم أن يحملهم ما لا طاقة لنا به ..قال: وارحمنا انت مولانا .. لاحظ انه هنا لم يعطفها مثل التي قبلها بواو العطف واعف عنا ، واغفر لنا، وارحمنا، كلها معطوفة..

لما جاءت مولانا لم يعطفها ليوضح لهؤلاء المؤمنين انه مولاهم وليس لهم مولى إلا الله سبحانه وتعالى

والمراد بالولادة هنا الولاية الخاصة لان الولاية ولايتين عامة يدخل فيها الكفار والمشركون

(ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق) للخلق عامة

اما ولاية المؤمنين هي ولاية تأيد ونصره من الله سبحانه وتعالى .. ورعاية الله تسمى ولاية خاصة (انت مولانا) ولذلك النبي صل الله عليه وسلم لما رد على المسلمين في غزوة أحد قال☹ الله مولانا ولا مولا لنا) فالمؤمن يستشير ويعلم بأن الله هو مولاه هو الذي يتولى جميع أموره .. ولذلك لما قال (انت مولانا) فخم عليها بفاء التفخيم وقال: (انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) اي ان كنت انت مولانا فانصرنا على كل من عادانا

ولا يمكن للمؤمن عبادة الله الحقة إلا بصد الإنجيل وردهم عن دين الله وعن أولياءه

لذلك ختمها الله تعالى بدعاء أن ينصرهم الله على القوم الكافرين الذين يصدون عن دين الله ويعادون أولياء الله.

هذه خواتيم سورة البقرة تعرفنا عليها وعرفنا فضائلها وعرفنا معانيها فعلى المسلم أن يكون حريص أشد الحرص أن يحافظ على هاتين الايتين في كل يوم وليلة وأن قطع الاوراد أن يحافظ عليها لما فيها من الفضل العظيم

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته ويجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ويارك لنا في اعمارنا وفي عباداتنا مع ربنا ويفقهنا في دينه والله أعلم

وصل الله وسلم على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين